

أيمن بعلبيكي... «الإنفجار» الكبير



«مدل إيست» (مواد مختلفة على كانفاس – 200 × 400 سنتم – 2015/2014)

نيكول يونس

ثلاثة معارض وتجهيز (مهدي إلى الشاعر أبولينير)، صُهرت كلّها في معرض ملحمي واحد، في «غاليري صالح بركات» في كليمنصو، استنهض أيمن بعلبيكي (1975) الحركة التشكيلية اللبنانية، منطلقاً بها إلى مصاف عالمية وسلم قياس «بارثينوني»، فروى عطش مدينة كانت مرة نبض الحركة التشكيلية في المنطقة.

أعاد الفنان الشاب لبيروت عزها الفني، محلّقاً بها، ورأسماً حدوداً جديدة وأفقاً أوسع وسقفاً أعلى للإمكانات التشكيلية اللبنانية في خارطة الفنون العالمية، في حوار مع «الأخبار»، يتحدث أيمن بعلبيكي عن البعد الآخر لمعرضه Blowback: البُعد الملتزم والمعاني السياسية الناضجة في ذهنه، ومضامين معرضه: أن يبني اللوحات الأضخم ويهدي الزائر مروحة أوسع من التقنيات الماكينة الغنية المدهشة، ويربط الخاص بالعام ويمزج الفني بالسياسي. أن يمسك التاريخ بيده ويقدمه عصارةً بحثية بصرية، هذا هو أيمن بعلبيكي الذي قدّم في بيروت وعنها وحدودها وحربها واخواتها في المنطقة، معرضه الجديد «بلوباك».



«مبنى بركات» (مواد مختلفة على كانفاس – 250 × 400 سنتم – 2016)

يصف بعض المتخصصين أعمال بعلبيكي بـ «ما بعد بولوكية» (نسبة إلى المعلم الأميركي جاكسون بولوك)، لكن لا شك في أنّ ضخامة اللوحات الـ «هرقلية» وعظمة التقنية، تذكّران أولاً بالتشكيلي الألماني العملاق انسلم كيغر. وقد تحيلنا الذاكرة البصرية تقنياً إلى المعلم الكبير كارل ايل، أو حتى إلى المبدع كوكوشكا بمزيجه الشهوي المدموج في التقميشة، ثم تقترب من لعبة جاكسون بولوك التقنية، أو لعلّ بعلبيكي جمع في شخصه، عبر هذا المعرض «مجموعة غوتاي» اليابانية الطبيعية (من مرحلة «فن ما بعد الحرب»)، لم لا؟ فالضوء/ النيون موجود، والحركة/ الفعل موجودة، وكذا لعبة الاختيار التقني وصناعة المادة، كما الابتكار والتجهيز، والأهم الشعار: «لا للتقليد! نعم للإبداع!».

مجموعة فنانين في فنان نموذجي واحد، وثلاثة معارض مصقولة موحدة في مساحة صالح بركات المتحفية نفذها بعلبيكي، بعدما هندسها وبنائها ثم صاغها ونسج تفاصيل فكرتها بعمق ودقة وذكاء، وصهرها في معرض نوعي موحد، من «حدود الدماء» مروراً بـ «منطقة خالية من الأعلام»، وصولاً إلى «بلوباك»، متوجاً المعرض- المتحف بعمل تجهيزي أتى كتحية خاصة للشاعر غيوم

أبولينير (1880 – 1918).

جوهرة من البندقية

العمل «التحفة» صنع من «زجاج مورانو» (نسبة إلى جزر مورانو في البندقية) الذي يعتبر نوعاً خاصاً اشتهر عبر التاريخ ودخل في صنع المجوهرات والتحف الزجاجية. التجهيز الذي حمل عنوان «أفاريز الخيول»، عبارة عن جوهرة ضخمة تتوسط «الهيكل» كقيلة. يوم الافتتاح، كان الزوار يحجون حولها بحركة شبه دائرية صوفية يتأملونها ويسألون عن ماهيتها وتقنياتها والقصة الكامنة وراءها. يعلّق بعلبيكي على إشكالية جوهرة هذه، قائلاً: «هذا الشكل من الحواجز انتهى تحديداً تزامناً مع بدء التقسيم عندنا في المنطقة.



«إسدل السنارة» (مواد مختلفة على كانفاس وضوء نيون – 220 x 400 سنتم – 2016)

هذه العوارض أو الحواجز ضد الخيالة والخيول Chevaux de Frise لم نعد نراها بعد عام 1914. عملياً، لم نعد هناك أحصنة وفرقة خيالة تخوض الحروب المعاصرة. عندما قرأت قصيدة أبولينير «شوفو دو فريز»، قررت أن أصنع واحداً من هذه الحواجز القديمة لكن من زجاج. المفارقة أنّ القصيدة كانت غزلية موجهة إلى حبيبته، إذ كان الفنانون يعتبرون استعمال أي شيء كوسيط تعبيرى – مثل الأفاريز والحواجز مثلاً- فعلاً جديداً. وما لفتني أكثر هو اعتبار أبولينير حادثة «موء الشعب» عند عودة الجيش الفرنسي مهزوماً من معاركه في الحرب العالمية الأولى، أول «فعل سياسي» حقيقي، بحيث يكون الشعب قد سبق المثقفين في ذلك بأشواط، سواء أولئك الذين تحولوا لاحقاً إلى يسار وتقدميين مثل بيكاسو (صديق أبولينير) أم غيرهم. الشعب بشكل ما قد وعى فطرياً لفكرة «الدولة الأمة» وحتى فكرة الحدود». حدود رسمها بعلبيكي بأكثر من قالب تشكيلي وتقني، فما هي هذه الحدود؟ وما هي هذه التقنيات؟

«حدود الدماء»

«حدود الدماء» أو Blood Borders التي خصص لها بعلبيكي مجموعة من الأعمال، هي كناية عن عشرات اللوحات لحواجز اسمنتية. بدأ الفنان الشاب العمل عليها منذ عام 2013 وأكملها عام 2016. يقول لنا: «تعاملت مع اللوحات الصغيرة هذه على أنها التخطيط للأعمال الكبيرة، بالنسبة إلى طريقة التشكيل، صحيح أنها أعمال منجزة كاملة، لكن في ذهني كنت أتعامل معها كأنها ورق مدمج بالقماش، تخطيطات لا بد منها للأعمال الكبيرة». في هذه اللوحات، ما زالت ضربة الريشة واضحة، قبل أن نشهد التحول التقني في اللوحات العملاقة.



ضخامة اللوحات
ال «هرقلية»
وعظمة التقنية،
تذكران أولاً
بالتشكيلي
الألماني
العملاق انسلم
كيفر



إلى جانب لوحات حواجز الاسمنت، نجد أيضاً أعمالاً من «زجاج مورانو» لحواجز من نوع آخر سبب أيمن بعضها منذ عام 2013. هي جواهره الكبيرة التي تترك الزائر أمام حيرة إزاء تلجيتها أو تجمدها أو بريقها. عن هذا الجزء الذي يشكل شبه معرض أيضاً داخل المعرض الكبير، يوضح بعلبيكي لنا: «لقد اعتبرت أنه وفق المنطق عينه الذي تستخدم فيه الحواجز اليوم، خاصة حواجز الحديد المعروفة بـ «إبريسون تشيك» أو «القنذ التشيكوي» الذي وُظف كمعقل للدبابات وحنازيرها بهدف وقف المد النازي في البداية، ها هي تستعمل في لبنان لنقاط التفتيش فقط. بذلك، صار الأمر أشبه بعمل كشمفي أكثر من كونه فعلاً حربياً دفاعياً لوقف الدبابات». بالتالي، تغيرت وظيفة الحواجز الراسمة للحدود، فنحن نرى أيضاً الدواليب كحواجز، وقد نغدها بعلبيكي أيضاً من «زجاج مورانو».

لكن من أين أتى العنوان؟ يشرح الفنان الشاب أصل اختيار «حدود الدماء»: «هو عنوان مقال لجنرال أمبركي يدعى رالف بيترز كتب تقريراً عام 2006 ونشر عام 2012. هذا التقرير موجه للدولة الأميركية يطالبها بتصحيح الحدود/ الأخطاء التي ارتكبتها الأوروبيون عبر تقسيم المنطقة من هنا إلى أفغانستان وغيرها... يتكلم عن الظلم الذي لحق بالأقليات ويقول لهم إن بعض الجماعات كالأكراد (مثلاً لا حصراً) قد ظلموا في هذا التقسيم، فصححوا هذا الموضوع. لقد شعرت أن هذا التقرير يجب أن يقرأ ضمن

إطار ما يحصل الآن في بلادنا بصرف النظر عما إذا كان هذا الجنرال أميركياً، وما هو مراده من التقرير، أو في أي موقع هو». هكذا أداً بين أنواع الحواجز الراسمة للحدود والدموية عبر التاريخ، وتحول هذه الحدود، كان بعلبيكي يخطط أو يحيك البنيان الفكري لمعرضه/ راسماً تحول الحدود ومنطقها، وصولاً إلى «منطقة خالية من الأعلام» No Flag Zone، حيث يمكن للزائر اعتباره معرضاً إضافياً مصهوراً بحنكة وسلاسة ضمن المعرض.

منطقة خالية من الأعلام

هنا الحواجز داخلية والحدود ليست ظاهرة كما يخيل للكثير من الزوار، أكثر من 20 لوحة تمثل أعلاماً تُحرق، ليست فعل حرب على محتل أو عدو خارج الحدود، يوضح بعلبيكي لـ «الأخبار»: «كنت أتابع الأحداث في مختلف البلدان وكمية الظلم التي تلحق بالناس بسبب غطرسة الامبراطورية، وقد بدت لي أكبر بكثير من قصتنا الشخصية حصراً. كانت الأعلام تحرق في مناطق كثيرة في العالم ومن اتجاهات عديدة، رسمتها، وحفظت كل حدث وتاريخه (ربما أضع عناوينها لاحقاً في كتاب)، لكن المفارقة أن العلم النازي مثلاً، كان يحرق في اليونان ضد قدوم أنجيلا ميركل، حرقه الأناركيون حينها. حتى العلم الإسرائيلي أحرقه يهود مناهضون للصهيونية، والعلم الأميركي كان يحرق في أميركا نفسها ضد العنصرية، فالأعلام هنا تشكل عجينة ممزوجة واحدة، وهي مرتبطة بفكرة الحدود بشكل وثيق. باعتقادي، هناك شكل من نهاية لفكرة الحدود اليوم أو أننا مقبلون على ذلك، سواء أكانت حدود «الدولة الأمة» أو حتى فكرة «الهوية». كلها يتم إعادة النظر فيها اليوم».

«بلوباك»

«أشعر أن الشعوب تضع أحياناً في التفاصيل، فلا تستطيع أن تعي أنّ الهزة الحاصلة عندنا اليوم في المنطقة، إنما هي ردة جاءت نتيجة أكثر من مئة عام من تقسيم المنطقة». هكذا يدخل بعلبيكي في صلب الموضوع بلا مناورة، ويضيف: «كلمة blowback، تستعمل في الفيزياء للتعبير عن الفعل وردة الفعل، لكن وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية استعملتها بشكل خاص، ا 155 9 ... كلها سلسلة من الارتدادات، التي أن نصل إلى المشهد الكبير في حمص. أعتقد كلها أشبه بفعل ورد فعل، أو سقوط سياسي، أو شكل من الانتقام...».



الفنان في المعرض

لوحات عملاقة يصل بعضها إلى ثمانية أمتار عرضاً، يحار فيها النقاد وعشاق الفن. الراعي الفني Art patron ومقتني الأعمال الفنية باسل دلول الذي يعد مع والده، صاحبي أكبر مجموعة خاصة من الفنون العربية الحديثة والمعاصرة في العالم (المنوي تحويلها إلى متحف)، يملك إجابة واضحة وقاطعة لخصها لنا: «أعمال أيمن ذات مستوى عالمي. ضربات ريشته الهية وتأليفاته مذهلة! معرضه الحالي تطور طبيعي لأعماله السابقة. الشاب الذي ترعرع في بيروت الممزقة بالحرب، شهد على الدمار الذي تعرضت له أجزاء متعددة من المنطقة في السنوات الأخيرة، كلها تصبغ أعماله بشكل واضح. لوحات أيمن وتجهيزاته من الأعمال الطليعية التي ستعيد لبنان إلى الموقع الريادي في المنطقة!». لقد أصاب باسل دلول بتعليقه، فيبعلبيكي الذي نشأ وترعرع وسط الحرب والدمار، نسج من ذاكرتنا وذاكرته سلسلة معارك المنطقة تدريجاً في لوحات مشهدة من بيروت الحرب وصولاً إلى طهران 2011، يوم أعلنت بريطانيا إغلاق سفارتها في إيران عبر لوحة تصل إلى ثلاثة أمتار عرضاً، مروراً بحمص عبر لوحة تصل إلى ستة أمتار عرضاً.



ألم يقل الفنان الألماني أنسلم كيفر «إنّ التاريخ يتحدث للفنانين، يغيّر تفكيرهم، ويعيد تشكيلها دورياً إلى صور مختلفة وغير متوقعة؟». هذا القول يتجسد في المعرض، فمن يمشي في «بلوباك» أيمن بعلبيكي، يشعر كأنه أمام شريط سينمائي يستعيد تاريخ المنطقة بمعاركها وحروبها التي نمّطت ذاكرتنا البصرية. الرحلة في ذاكرة بيروت الحربية، تبدأ من تفجير السفارة الأميركية التي خصص لها بعلبيكي أكثر من لوحة (تصل إحداها إلى أربعة أمتار عرضاً)، مروراً بالبرلمان اللبناني، ثم حادثة تفجير طائرات الـ «ميدل

رحلة بصرية
تاريخية تعيد
ترسيم حدود
المنطقة كما
رسمها

الرصاص والنار



ايسنت» عام 1982 في أكثر من لوحة تصل إلى أربعة أمتار (انضمت إحداها إلى مجموعة دُلوك الخاصة) لنصل إلى تقاطع السويكو ومبنى بركات الشاهد على تلك الحقبة من الحرب بلوحة تصل أيضاً إلى أربعة أمتار عرضاً. يكمل الزائر رحلته السينمائية في بيروت لنصل إلى المبنى البيضاوي الذي كان يعرف بالـ «سيتي سنتر» أو «الدوم» أو «سينما سيتي». هو أيضاً من المعالم الشاهدة على الحرب اللبنانية، يجسده بعلبكي بلوحة تصل إلى أربعة أمتار عرضاً (هي بطاقة الدعوة للمعرض). مع ضوء نيون في وسطها، يشير إلى انتهاء العرض The End، وقد أعطاه بعلبكي عنوان «أسدل الستارة» Draw The Curtain.

رحلة بصرية تاريخية تعيد ترسيم حدود المدينة كما رسمها الرصاص والنار، لكن بعلبكي بعيد ترسيمها بعجنته الزيتية أو الأكرليكية أو تقيمشاته الشهية التي عمل على تكتيفها وتطويرها خلال أكثر من عامين محدثاً تقنياته، ومستغنياً في بعضها عن الريشة ليغمس يده في اللون ويضعه على لوحته من دون وسيط. تصاف إلى كل هذا قفزة نوعية في لعبة القرب والبعيد، فقد فهم أيمن أبعاد العمل على مساحات ضخمة، فرسمها لمتلق قريب ومتلقٍ أبعد. المقتني والراعي الفني جوتي مقبل الذي كان من أوائل الذين اقتنوا أعمال بعلبكي، يطرح إشكالية إضافية عن أهمية هذه اللوحات والتجهيزات. يقول لنا: «أعمال أيمن قد تكون سيريقية. قبل أن ينتهي من إسقاطات ذاكرتنا على لوحاته، يجد نفسه أيضاً غارقاً في موجاتها التالية والتالية حتى اللانتهية، لأن من يفترض أن يسمعون ويفهموا، غارقون في عاداتهم وأصموا أذانهم». هل تصل رسائل أيمن اليوم إلى من يصمّون أذانهم ويغلقون عيونهم؟ هل سيرى بعضهم المشهد كاملاً؟ هل سينتبه الغارقون في التفاصيل؟ يقول انسلم كيرف: «ماذا يفعل الفنان؟. إنّه يرسم روابط وصلات. يربط الخيوط الخفية بين الأشياء، ويغوص في التاريخ... أليس هذا ما ترجمه أيمن بعلبكي في معرضه؟

* «بلوباك» أيمن بعلبكي: حتى 26 تشرين الثاني (نوفمبر) - «غاليري صالح بركات» (كليمنصو) - للاستعلام: 01/365615

كواليس التحضير

تحية وثلاثة عناوين/ شعارات، تدل على وعي أيمن بعلبكي السياسي ونضجه الفني الملتزم من «حدود الدماء» مروراً بـ «منطقة خالية من الاعلام» وصولاً إلى الكل: «بلوباك». هذا الفنان البارز الذي يسيطر ويتحكم بالمادة اللونية ويوزعها على لوحته بطريقة «حديسية» - كما ذكر وضاح فارس في كاتالوغ المعرض - يؤكد لـ «الأخبار» أنّه لا يترك حدسه يعمل وحده، بل إنّه لعقله وذهنه المتقد الحصة الأكبر من الوقت مع تحفه الفنية: «أنا بحاجة كبيرة لأن أتأمل قبل أن أقدم على خطوة عملية في اللوحة. الوقت الذي أعمل فيه هو أقل بكثير من الوقت الذي لا أعمل فيه. فهمت لاحقاً أنّ هذا هو شكل من الإيقاع».

اجتهاد لا يقتصر فقط على أيمن، بل يشمل طاقماً كاملاً يدعمه، هو بالتحديد أسرة «غاليري صالح بركات». هذا ما يؤكد أيمن: «دعم أسرة الغاليري هو نقطة جوهرية. كل فريق الغاليري يبذل جهوداً في هذا الإطار، لكن كي نتكلم عن الفعل الاساسي، فهو بالتأكيد لصالح بركات الذي دفعنا بقوة في هذا الاتجاه أي تنفيذ لوحات ضخمة. باعتقادي، كان ذلك اختياراً، ربما لم تكن على استعداد للعمل على سلم قياس أكبر من ذلك الذي كان في «غاليري أحيال» (يملكها بركات أيضاً - الحمراء) حيث كنا مقيدين، وكان يستحيل عليّ أن أتخذ لوحة من أربعة أمتار، كي لا أقول ستة أمتار. بالتالي، كانت مبادرة صالح بركات في افتتاح «غاليري الجديدة ذات المساحة الكبيرة الفعل الأهم في اللعبة. ثم جاء الرد منّا، نحن الفنانين. كنا كمن يلعب معه بينغ-بونج. بداية، أقيم معرض نبيل نحاس ثم معرضي، ثم سيأتي عارضون آخرون. أتخيل أننا رفعا المقياس للقادم من الأعمال. أذكر أنني عندما بدأت العمل لهذا المعرض، أخذت في الاعتبار المكان الجديد، فقد أصبح بإمكانني أن أعرض الأعمال الكبيرة».

سنتان كاملتان وتيفي من التحضير المكثف، لكن أيمن يسرُّ لـ «الأخبار» بأنّ هناك مجموعة إضافية من اللوحات (الوجوه) التي كانت جاهزة للمعرض لكنه استبعدها. «بصراحة لم أكن أعلم كم عدد الأعمال التي أنجزتها للمعرض. لم أكن أعلم إن كنت مقصراً أم أنني قد نفذت لوحاتٍ زائدة. وفي الواقع، لقد اضطرت لاستبعاد مجموعة من الأعمال. للحظة، كنتُ خائفاً أن يتلغ هذا المكان الواسع اللوحات. هو يشكل فعلاً مساحةً لمتحف».

هنا نستذكر قولاً لبيكاسو: «نعم، الفن خطير. وإن كان مجانياً سهلاً، فهو ليس فناً». لقد خاطر أيمن بعلبكي راداً على خطوة صالح بركات التصعيدية. وكانت النتيجة «فناً» متحيفاً وأعمالاً ريادية، ففاز اللاعبان وعادت بيروت نبض الحدث الفني في المنطقة.

الفنان في سطور

ولد أيمن بعلبكي عام 1975 في بيروت وحصل على دبلوم دراسات عليا في الرسم والنحت من معهد الفنون الجميلة في الجامعة اللبنانية (1994-1998)، تابع دراسته الفنية في باريس، حيث حصل على دبلوم في فن الفضاءات (2001-2003) من المعهد العالي الوطني للفنون الزخرفية. لاحقاً، حصل على دبلوم دراسات عميقة في «فن الصور والفن المعاصر» (2002-2003) من جامعة باريس 8.

Ayman Baalbaki 2015

ادب وفنون

العدد ٣٠١١ الأربعاء ١٩ تشرين الأول ٢٠١٦

[أيمن بعلبكي... «الإنفجار» الكبير \(taxonomy/term/6138\)](http://taxonomy/term/6138)

مقالات أخرى لتيكونل يونس:

[معرض بيروت للفن 2017 دورة النضج... إلى](#)

[«عروبة»! \(node/283469/\)](#)

[«يوميات» جميل ملاعب... سلام على الزمن](#)

[العابر \(node/282720/\)](#)

[«متحف سريسيق»... ما الذي رآه في](#)

[«فضاءات» وبلبي عرفنتجي؟ \(node/282002/\)](#)

[«معلم ومتحف ملينا للسياسة الجهادية»...](#)

[هنا زمن النصر تجلّى! \(node/281733/\)](#)

[أسامة بعلبكي... بيروت مرتعاً لـ «مرافعات](#)

[الضوء» \(node/280106/\)](#)

ابتداءً من تاريخ 30 تموز 2015، تم إيقاف التعليقات على المقالات مؤقتاً نظراً لبعض الصعوبات والتعديلات التقنية، يمكنكم التعليق وإبداء الرأي والتواصل مع الكتاب عبر صفحتنا الالكترونية على فإيسبوك (<https://www.facebook.com/AlakhbarNews> (<https://www.facebook.com/AlakhbarNews>))، أو عبر البريد الالكتروني: (comments@al-akhbar.com (<mailto:comments@al-akhbar.com>))